ولكنه كان يقصد ان يتغافل ويتجاهل ويظهر البله والنقص ليتبقى بذلك ماله ويحرس به نعمته ويدفع عنه عين
الكمال وحسد الاعداء قال ابو حيان قلت لابي غسان البصري اظن ما قاله هؤلاء فان المعتضد مع حزمه وعقله
وكماله واصالة رأيه ما اختاره للسفارة والصلح الا المرجو منه فيما يأتيه ويستقبله من ايامه نظير ما قد
شوهد منه فيما مضى من زمانه وهل كان يجوز ان يصلح امر قد تفاقم فساده وتعاظم واشتد برسالة احمق و
سفارة اخرق فقال ابو غسان ان الجد يفسح حال الاخرق ويستر عيب الاحمق ويذب عن عرض المتلطخ و
يقرب الصواب بمنطقه والصحة برأيه والنجاح بسعيه والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ويستعمل آراءهم
وافكارهم في مطالبه وان ابن الجصاص على ما قيل وروى وحدث وحكي ولكن جده كفاه غائلة الحمق
وحماه عواقب الخرق ولو عرفت خبط العاقل وتعسفه وسوء تأتيه وانقطاعه اذا فارقه الجد لعلمت ان
الجاهل قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه قال ابو حيان فقلت له فما الجد وما هذا
المعنى الذي علقت عليه هذه الاحكام كلها قال ليس لي عنه عبارة معينة ولكن لي به علم شاف استفدته
بالاعتبار والتجربة والسماع العريض من الصغير والكبير ولهذا سمع من امرأة من الاعراب ترقص ابنا لها
فتقول له رزقك الله جدا يخدمك عليه ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود الاصل اولى
الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة الشرح قد تقدم لنا قول مقنع في العفو والحلم وقال الاحنف ما شيء اشد
اتصالا بشيء من الحلم بالعز وقالت الحكماء ينبغي للانسان اذا عاقب من لا يستحق العفو ان لا يكون سبعا
في انتقامه وان لا يعاقب حتى يزول سلطان غضبه لئلا يقدم على ما لا يجوز ولذلك جرت سنة السلطان
بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد النظر فيه واتي الاسكندر بمذنب فصفح عنه فقال له بعض جلسائه لو كنت
اياك ايها الملك لقتلته قال فاذا لم تكن اياي ولا كنت اياك لم يقتل وانهي اليه ان بعض اصحابه يعيبه فقيل
له ايها الملك لو نهكته ضربا فقال لا يكون حينئذ ابسط لسانا وعذرا في اجتنابي وقالت الحكماء ايضا لذة العفو
اطيب من لذة التشفي والانتقام لان لذة العفو يشفعها حميد العاقبة ولذة الانتقام يلحقها الم الندم وقالوا
العقوبة الام حالات ذي القدرة وادناها وهو طرف من الجزع ومن رضي ان لا يكون بينه وبين الظالم الا ستر
رقيق فلينتصف الاصل السخاء ما كان ابتداء فاذا كان عن مسألة فحياء وتذمم الشرح يعجبني في هذا
المعنى قول ابن حيوس اني دعوت ندى الكرام فلم يجب فلاشكرن ندى اجاب وما دعي ومن العجائب والعجا
ئب جمة شكر بطيء عن ندى متسرع وقال آخر ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال واذا
النوال الى السؤال قرنته رجح السؤال وخف كل نوال الاصل لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب
ولا ظهير كالمشاورة الشرح روى ابو العباس في الكامل عن ابي عبد الله عم انه قال خمس من لم تكن فيه لم يكن
فيه كثير مستمتع العقل والدين والادب والحياء وحسن الخلق وقال عم ايضا لم يقسم بين الناس شيء اقل
من خمس اليقين والقناعة والصبر والشكر والخامسة التي يكمل بها هذا كله العقل وعنه عم اول ما خلق
العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال ما خلقت خلقا احب الي منك لك الثواب وعليك
العقاب وعنه عم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليبغض الضعيف الذي لا زبر له قال الزبر العقل
وعنه عم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما قسم الله للعباد افضل من العقل فنوم العاقل افضل من سهر
الجاهل وفطر العاقل افضل من صوم الجاهل واقامة العاقل افضل من شخوص الجاهل وما بعث الله رسولا
حتى يستكمل العقل ويكون عقله افضل من عقول جميع امته وما يضمر في نفسه افضل من اجتهاد جميع
المجتهدين وما ادى العبد فرائض الله تعالى حتى عقل عنه ولا يبلغ جميع العابدين في عبادتهم ما بلغه العاقل
والعقلاء هم اولوا الالباب الذين قال الله عنهم وما يذكر الا اولوا الالباب قال ابو العباس وقال رجل من اصحاب
ابي عبد الله عم له وقد سمعه يقول بل يروي مرفوعا اذا بلغكم عن رجل حسن الحال فانظروا في حسن عقله فانما

يجازى

يجازى بعقله فقال رجل يا ابن رسول الله ان لي جارا كثير الصدقة كثير الصلوة كثير الحج لا بأس به فقال كيف عقله فقال
ليس له عقل فقال لا يرتفع بذلك منه وعنه عم ما بعث الله نبيا الا عاقلا وبعض النبيين ارجح من بعض وما استخلف
داود سليمن حتى اختبر عقله وهو ابن ثلاث عشرة سنة فمكث في ملكه ثلثين سنة وعنه مرفوعا صديق كل امرئ
عقله وعدوه جهله وعنه مرفوعا انا معاشر الانبياء نكلم الناس على قدر عقولهم قال ابو العباس وسئل ابو عبد الله
عليه السلام ما العقل فقال ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان قال وقال ابو عبد الله عم سئل الحسن بن علي عم
عن العقل فقال التجرع للغصة ومداهنة الاعداء قلت هذا كلام الحسن عم وانا اقطع بذلك قال ابو العباس
وقال ابو عبد الله عم العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يثق بمن يخاف غدره ولا
يرجو من لا يوثق برجائه قال ابو العباس وروى عن ابي جعفر عم قال كان موسى عليه السلام يدني رجلا من بني اسرائيل
لطول سجوده وطول صمته فلا يكاد يذهب الى موضع الا وهو معه فبينا هو يوما من الايام اذ مر على ارض معشبة
تهتز فتأوه الرجل فقال له موسى على ماذا تأوهت قال تمنيت ان يكون لربي حمار فارعاه ههنا فاكب موسى
طويلا ببصره الى الارض اغتماما بما سمع منه فانحط عليه الوحي فقال ما انكرت من مقالة عبدي انما آخذ عبادي
على قدر ما آتيتهم من العقل قال ابو العباس وروى عن علي عم هبط جبرئيل على آدم بثلاث ليختار منها واحدة
ويدع اثنتين وهي العقل والحياء والدين فاختار العقل فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا فقالا انا امرنا
ان نكون مع العقل حيث كان قال فشأنكما فعاد الى الثلاث فاما قوله عم ولا ميراث كالادب فاني قرأت في
حكم الفرس عن بزرجمهر ما ورثت الآباء ابناءها شيئا افضل من الادب لانها اذا ورثتها الادب اكتسبت بالادب
المال فاذا ورثتها المال بلا ادب اتلفته بالجهل وقعدت صفرا من المال والادب وقال بعض الحكماء من
ادب ولده صغيرا سر به كبيرا وكان يقال من ادب ولده ارغم حاسده وكان يقال ثلاثة لا غربة معهن
مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وكان يقال عليكم بالادب فانه صاحب في السفر ومؤنس في الوحدة
وجمال في المحفل وسبب الى طلب الحاجة وقال بزرجمهر من كثر ادبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته
وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان مقلا وقال بعض الملوك لبعض وزرائه
ما خير ما يرزقه العبد قال العقل يعيش به قال فان عدمه قال ادب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره
به قال فان عدمه قال صاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد وقيل لبعض الحكماء متى يكون العلم شرا من عدمه
قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة يعني بالقريحة العقل فاما القول في المشورة فقد تقدم وربما ذكرنا منه
نبذة فيما بعد الاصل الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب الشرح النوع الاول اشق من النوع الثاني
لان الاول صبر على مضرة نازلة والثاني صبر عن محبوب متوقع لم يحصل وقد تقدم لنا قول طويل في الصبر سئل
بزرجمهر في نكبته عن حاله فقال هون علي ما انا فيه فكري في اربعة اشياء اولها اني قلت القضاء والقدر
لا بد من جريانهما والثاني قلت ان لم اصبر فما اصنع والثالث اني قلت قد كان يجوز ان تكون المحنة اشد
من هذه والرابع اني قلت لعل الفرج قريب قال انوشروان جميع امر الدنيا منقسم الى ضربين لا ثالث لهما اما
ما في دفعه حيلة فالاضطراب دواؤه واما ما لا حيلة فيه فالصبر شفاؤه الاصل الغنى في الغربة وطن والفقر
في الوطن غربة الشرح قد تقدم لنا قول مقنع في الفقر والغنى ومدحهما وذمهما على عادتنا في ذكر الشيء ونقيضه ونحن
نذكر زيادة ههنا على ذلك قال رجل لسقراط ما اشد فقرك ايها الحكيم قال لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع
لنفسك عن التوجع لي الفقر ملك ليس عليه محاسبة وكان يقال اضعف الناس من لا يحتمل الغنى وقيل للكندي
فلان غني فقال انا اعلم ان له مالا ولكني لا اعلم اغني هو ام لا لاني لا ادري كيف يعمل في ماله قيل لابن عمر توفي
زيد بن ثابت وترك مائة الف درهم قال هو تركها لكنها لم تتركه وقالوا حسبك من شرف الفقر انك لا ترى احدا
يعصي الله ليفتقر اخذه الشاعر فقال يا عائب الفقر الا تزدجر عيب الغنى اكبر لو تعتبر انك تعصي الله تبغي الغنى وليس

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)